# حاجة البشرية إلى الإسلام
# وحق الإسلام ورسوله صلى الله عليه وسلم على المسلمين

دكتور/ شوقي دنيا

بحث مقدم

للمؤتمر العالمي عن الرسول محمد صلى الله عليه وسلم وحقوقه على البشرية

تقيمه وتنظمه الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة

عام

١٤٣٥هـ/٢٠١٤م

# ملخص البحث:

لقد استخدمت البشرية في عصرها الحاضر العقل والعلم بأقصى ما لديها من إمكانات وطاقات ، وحققت من التقدم المادي والتقني والفكري الشيء المذهل، وتوصلت إلى العديد من المؤسسات والأنظمة السياسية والاقتصادية التي وفرت لها الكثير من حقوقها السياسية من جهة ، والرفاهية المادية من جهة أخرى. ومع كل ذلك ، فقد بلغت شأواً بعيداً في درك الشقاء النفسي والتمزق الاجتماعي والفساد السياسي. فالعالم اليوم يئن من العديد والعديد من المشكلات القاسية التي باتت تهدده في كينونته وبقائه ، يستوى في ذلك الصعيد الاقتصادي والصعيد الاجتماعي والصعيد السياسي وصعيد العلاقات الدولية. هذه المفارقة البينة تفرض على كل صاحب فكر موضوعي أن يتساءل عن تفسير ذلك والمخرج منه. ويطرح علامات استفهام قوية حول مدى نجاعة العقل والحواس في هدى البشرية إلى ما فيه سعادتها وصلاح أحوالها. ويصل من وراء ذلك إلى قناعة راسخة بأننا في حاجة إلى شيء آخر غير العقل والحواس، أو بعبارة أخرى في حاجة إلى هادٍ ومرشد من خارج الإنسان يكمل عمل العقل والحواس أو بالأحرى يرشدهما ويحدد لهما معالم الطريق. ولا ينهض بذلك سوى الدين ، شريطة أن يكون ديناً حقاً صحيحاً يستحق التقديس. ديناً يتعامل مع الإنسان من خلال فطرته ووظيفته وخصائصه التي يتميز بها عما سواه من المخلوقات وتجعل منه كائناً فذاً في طبيعته وتركيبه ، وفذاً في وظيفته وغاية وجوده ، وفذاً في مآله ومصيره.

وكل الشواهد بل الأدلة والبراهين تجمع على أن الدين الوحيد في العالم اليوم الذي ينهض بتلك المهمة على أكمل وجه هو الإسلام ، لما يستجمعه من خصائص ومقومات تجعل منه المرشد الهادي بحق، والمحقق بالفعل لكل ما تحتاجه البشرية.

ولا أبالغ إن قلت إن حاجة البشرية قاطبة إلى الإسلام اليوم لا تقل في شدتها عن حاجتها إليه قبل البعثة المحمدية.

**مـا وجـه هـذه الحاجـة ؟ وكيـف يشـبع الإسـلام للبشـرية هـذه الحاجـة ؟ ومـا الـذي علينـا معشـر البشـر قاطبـة: مسـلمين وغيـر مسـلمين فعلـه لتحقيـق هـذا الإشـباع ؟ وعلـى المسـلمين بوجـه خـاص ومـا حـق الإسـلام وصـاحب الرسـالة ورسـول الإسـلام علـى البشـرية كلهـا اليـوم مـن جـراء ما قدمه لها وحمله على كاهله لهدايتها إلى ما فيه سعادتها وصلاح أحوالها؟**

**وهكذا تدور هذه الورقة حول محورين شديدي الصلة والارتباط وهما:-**

**١ـ حاجة البشرية إلى الإسلام.**

**٢ـ حق الإسلام ورسوله على المسلمين.**

**ولسنا فـي حاجـة إلـى التـذكير بـأن إعطـاء كـل محـور حقـه فـوق طاقـة هـذه الورقـة بكثيـر. ومن ثم فالمؤمل والمرتجى هو إعطاء لمحات وتقديم إشارات.**

# ١. حاجة البشرية إلى الإسلام

قضية احتياج البشرية إلى دين إلهي يهديها لما فيه صلاحها وسعادتها قضية محسومة منذ بداية خلق آدم وإنزاله إلى الأرض ليعمرها ويعيش عليها هو وذريته إلى قيام الساعة ، نطقت بذلك آيات محكمات بينات في سورة البقرة كشفت عن حوار في الملأ الأعلى بين الخالق سبحانه وملائكته الكرام. وفيه أن الله تعالى زود آدم بالعقل والحواس التي يستفيد بها كثيراً في العلم والمعرفة بما يحيط به وما يحتاج إليه. ومع هذه القوى البشرية التي لا يستهان بها والتي مكنته من التفوق على الملائكة في الاختبار الإلهي فقد أفصحت الآيات للإنسان أنه في حاجة ماسة إلى شيء آخر غير العقل والحواس ليحقق لنفسه السعادة والصلاح في دنياه وأخراه وهذا الشيء الآخر هو الهداية الإلهية أو هو الوحي. وفي ذلك دلالة بالغة على قصور عقل الإنسان وحواسه عن العمل بمفردهما لتحقيق سعادة الإنسان. قال تعالى: ﴿قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾[البقرة:٣٨]، وفي موطن آخر ﴿قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى﴾ [طه:١٢٣-١٢٤].

ولو كانت البشرية راشدة بحق لعقلت منذ البداية هذه الحقيقة الكونية ولعملت بمقتضاها ، وكانت بذلك أبعدت نفسها عن الشقاء والنكد الذي تكبدته عبر عصورها الطويلة ، واليوم تتكبد منه الأقسى والأشد ، رغم ما وصلت إليه بعقلها وحواسها من رقي مادي هائل.

قضية أخرى يجب طرحها في مثل هذا المقام. في أيامنا هذه يجمع المحققون من العلماء والمنصفون منهم ، من مسلمين وغير مسلمين على أنه ليس هناك دين سماوي الآن يُطمأن إلى سماويته وإلاهيته إلا الإسلام. وقد اعترف بذلك للإسلام أعداؤه أو بالأحرى من لم يؤمنوا به قبل المؤمنين به.

وبانضمام هذه القضية إلى سابقتها تتولد لنا قضية ثالثة هي:-

أن الهداية الإلهية اليوم التي لابد للإنسان منها إن أراد لنفسه الصلاح والسعادة واستقامة أوضاعه تتجسد بشكل كامل في الإسلام. وليس هناك اليوم ما يغني غناءه أو يسد مسده في هذا الصدد. ومعلوم أن الإسلام يحتوى على عقيدة وشريعة وأخلاق ، وأن هدايته تعم كل مجالات الحياة من اقتصادية لاجتماعية لسياسية لفكرية...الخ.

وقبل أن ندخل في تفصيل كيف أن الإسلام بكل ما فيه يصلح للإنسان حياته إذا ما طبقه واستفاد من كل ما فيه أو حتى من بعضه. ومن ثم فإن صلاح الحياة لا تقتصر على حياة المسلمين بل يمتد ليشمل حياة غير المسلمين.

قبل أن ندخل في غمار ذلك علينا أولاً أن نلقى نظرة متمعنة في كلام الله سبحانه عن الإسلام وعلاقته بصلاح أوضاع الناس.

كثيراً ما جاء حديث القرآن الكريم عن الإسلام ورسوله مستخدماً كلمات ذات دلالة بالغة في مقامنا هذا ، منها الرحمة ومنها الهدى ومنها النور ومنها الحياة. ولئن كان لذلك النهج القرآني من دلالة فدلالته هنا أن الإسلام ورسوله هما رحمة للبشرية وهما نور للبشرية وهما حياة للبشرية وهما هدى للبشرية.

فهل وراء ذلك من قول في مدى أهمية الإسلام للبشرية ومساسة حاجتها إليه ؟ وهل من وراء ذلك من قول في اشتمال الإسلام على كل ما يحقق للبشرية صلاحها واستقامة شئونها كلها في مختلف مجالات حياتها؟!

والآيات القرآنية في ذلك أكثر من أن تحصى، نكتفى هنا بذكر نماذج منها:-

قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء:١٠٧] ، ﴿وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الأنعام:١٥٥] ، ﴿فَقَدْ جَاءَكُمْ

بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ..﴾ [الأنعام:١٥٧] ، ﴿وَلَقَدْ جِئْنَاهُمْ بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ عَلَى عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف:٥٢] ، ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [النحل:٨٩].

﴿قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ﴾ [المائدة:١٥] ، ﴿فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٧] ، ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُبِينًا﴾ [النساء:١٧٤]، ﴿أَوَمَنْ كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ﴾ [الأنعام:١٢٢] ، ﴿وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا﴾ [الشورى:٥٢] ، ﴿ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾[الأنعام:٨٨] ، ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾ [الإسراء:٩] ، ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا * يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ﴾ [الجن:١، ٢] ، ﴿قَدْ جَاءَكُمُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ﴾ [يونس:١٠٨] ، ﴿اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾ [الأنفال:٢٤] ، ﴿قال اهبطا منها جميعاً بعضكم لبعض عدو فإما يأتينكم مني هدى فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى * ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى﴾ [طه :١٢٣ ، ١٢٤].

هذه عينة قليلة من حديث القرآن عن الإسلام ورسوله. وهي تكشف لنا بكل الصدق عن أن حاجة البشرية إلى الإسلام هي حاجة الضال إلى الهداية وحاجة الميت إلى الحياة وحاجة من في الظلام إلى النور. ذلك مقتضى قول الله تعالى: (وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا) [النساء:١٢٢].

لننطلق من هذا التأصيل الصحيح والحقيقي للقضية إلى أرض الواقع لنرى عملياً مصداقية هذا التأصيل.

**واقع البشرية اليوم:-**

**كما سلفت الإشارة لا أحد ينكر أو حتى يشك أو يجادل فيما حققته البشرية من تقدم مادي وتقني وعلمي في معظم مناحي الحياة ، ولا جدال في أن الفضل في ذلك يعود جله إن لم يكن كله إلى الإنسان بعقله وحواسه وتجاربه ورؤاه.**

**هذا أمر مقر ومعترف به من الجميع وبخاصة من علماء المسلمين وعامتهم. والذي يجب أن ينال بدوره في هذا الشأن الاعتراف والقبول هو أن هذه الانجازات المادية الحسية الباهرة كانت محل ترحيب وتقدير واعتراف من الإسلام ، بل ومحل طلب منه، فمهمة الإنسان في الأرض بعد عبادة الله تعالى هي عمران الدنيا ؛ وما أنجزه الإنسان من تقدم وتطور هو محور رئيس من محاور عمران الدنيا الذي استخلف الله الإنسان في الأرض للقيام به. ومعنى ذلك أن هذا الانجاز الكبير لم يكن من وراء الإسلام، ولا على غير رغبة منه. ولو كان للبشرية إنصات إلى الإسلام لسمعت منه الأوامر المؤكدة الصريحة بتحقيق هذه الانجازات ، بل بتحقيق ما هو أجل وأعظم منها. هذا عن الشق الإيجابي في المسألة ، ولا يصح أن يشغلنا هذا الشق عن الشق الثاني المكمل للصورة ، وهو الشق السلبي والمتمثل في جانب القيم والمعنويات والأخلاقيات ، والمتجسد في العدالة والمساواة والحرية والكرامة وتوزيع ثمار التقدم بعدل وموضوعية وإنصاف ، هذا الشق مفتقد في واقع البشرية بنفس اليقين الذي يوجد في واقعها الشق الإيجابي سواء بسواء. وافتقاد هذا مع وجود ذاك يحمل البشرية عناءً فوق عناء واستدعاء الإسلام هنا لن يزيل هذا التقدم المادي بل سيُتوجه ويحيطه بتقدم معنوي على نفس الدرجة من القوة ، وبذلك تشبع للبشرية حاجتها كاملة ببعديها المادي والمعنوي ، ومن ثم يتحقق لها صلاح الحال وتنعم بالسعادة.**

**من جوانب وصور معاناة الإنسانية اليوم:-**

**١ـ على المستوى الاقتصادي نجد انتشار الفقر والتخلف الذي وصل إلى حد الجوع لمئات الملايين من البشر ، بينما ما لا يزيد عن ٢٥% من البشرية يرفلون في ثياب الرفاهة المادية التي وصلت في حالات كثيرة منها إلى حد الترف المقيت و٧٥% منها تتجرع كؤوس الفاقة والعوز وفقدان أمس الضروريات اللازمة لقيام حياة كريمة للإنسان ، من مأكل ومشرب ومسكن وعلاج وتعليم. والإحصاءات الدولية الموثقة عن المنظمات الدولية تطفح بذلك بمرارة وتجعل من وصف عالمنا المعاصر بأنه عصر التقدم خراقة وأكذوبة كبرى ، اللهم إلا إذا قصرنا النظر على ربع السكان وأعرضنا عن الغالبية العظمى منهم. ثم إن عصرنا يعيش التقلبات الاقتصادية الحادة ، والأزمات المالية الماحقة ، التي باتت تتكرر بوتائر متسارعة ، ماحقة الأموال والثروات بلليارات. وقبل أن يفيق العالم من هول أزمة وجسامة آثارها تفجؤه أزمة أخرى. فنحن نعيش اليوم بحق عصر الفقر والتخلف وفقدان أساسيات الحياة لغالبية البشرية من جهة ، ونعيش في الوقت ذاته عصر الأزمات الاقتصادية المدمرة من جهة ثانية.**

**لماذا كل ذلك؟ لأن الإنسان ارتضى لنفسه أنماطاً من الإنتاج وأنماطاً من الاستهلاك وأنماطاً من التنمية ، واستخدم في سبيل ذلك آليات على رأسها الربا والاحتكارات والعدوان الصارخ من الأقوياء على موارد وأموال الضعفاء من الدول والأفراد ، وتنحية كل ما يمت بصلة للأخلاقيات من الميدان الاقتصادي ، وبذلك أصبحت الساحة الاقتصادية على مختلف الأصعدة ؛ الدولية والإقليمية والمحلية لا تحكمها إلا عوامل القوة والأثرة والأنانية المفرطة والتظالم، وتحولت بذلك إلى ما هو أحط من حياة الغابة. فللغابة أخلاقياتها التي تخفف كثيراً من بطش وفتك أقوياء الحيوانات بضعافها.**

**ولو استخدمت البشرية الهداية الإسلامية ووظفت ما لديها من كشافات منيرة ومضيئة لحالت دون الكثير والكثير من هذه الموبقات المهلكات. ويكفي أن الإسلام حرَّم الربا وجرَّمه**

مهما كان معدله ، ومهما كانت صورته، ومهما كان مجاله. كذلك حرم الاحتكارات ، ولعنها وحرم بخس الناس حقوقهم ، وحرَّم أكل أموال الناس بغير حق، وحرَّم إضاعة الأموال ، وحرَّم كل مظاهر الإسراف والتبذير ، وحرَّم الخبائث من سلع وخدمات ، وحرَّم كل صور وألوان اختلال وتشوه المعاملات ، وقدَّس وحمى الملكيات من كل عدوان ، وأمر الدول والمجتمعات والأفراد بحماية أموالها ومواردها ، وصد كل اعتداء عليها، ولو أدى ذلك إلى فقدان الأنفس ذاتها ، واعتبر ذلك استشهاداً **«فمن قتل دون ماله فهو شهيد»** . وما أدراك ما مرتبة الشهادة في الإسلام؟! وطرح الإسلام مبادئ العدل ونفى الضرر والضرار والتظالم.

وقد شهدنا ورأينا رأى العين كيف استدعى الإسلام على عجل من قبل العالم الغربي المتقدم ليقف بهديه حائط صد مصمت ضد الأزمة المالية العالمية الأخيرة (٢٠٠٨م) التي كادت تفتك بكل ما فيه من ثروات وأموال. وبرغم ما في هذا الاستدعاء في حد ذاته من مسكة رشد وعقلانية من البشرية فإن الأكثر رشداً وعقلانية أن تلجأ إليه ليقيها هذه الشرور والمآسي قبل وقوعها لا ليعالجها بعد حدوثها.

لقد جربت البشرية ومنذ عقود عديدة كل ما أداه إليها عقلها وفكرها ، وتوصل إليه من أنظمة اقتصادية على اختلاف مذهبياتها وآلياتها للتخلص من آفات التخلف والعوز والبطالة والأزمات ؛ والحصاد في كل ذلك ماثل للعيان لا يحتاج إلى بيان أما آن لها من منطلق الرشد والعقلانية ان تجرب الهدى الإسلامي ، علّه ينجح فيما رسبت فيه تلك الأنظمة؟!

إن النظام الاقتصادي الإسلامي يملك من المقومات والقيم والأخلاقيات والأهداف والغايات والوسائل والآليات ما يجعل البشرية تنعم برغد العيش وطيب الحياة واستقرارها وازدهارها للجميع دونما إقصاء واستئثار وتهميش للغالبية من قبل الأقلية.

٢ــ على المستوى الاجتماعي نجد المشكلات الطائفية والأثنية ونجد التحلل الاجتماعي والتفكك الأسري والاعتداءات المتعددة على الأسرة والأطفال والمرأة والأمية والأمراض الفتاكة وتهميش العديد من الفئات والحرمان من الرعاية الاجتماعية. وذبول التكافل الاجتماعي وشيوع ظاهرة التسول وأطفال الشوارع، وانتشار الجرائم، بدءاً من القتل والاغتصاب والزنا والبلطجة والرشوة ، والتجارة في الجنس والمخدرات وانتشار الإدمان.. إلى غير ذلك من المآسي الاجتماعية التي عمت بلاد العالم من الشرق والغرب ، وقضَّت مضاجع الجميع ، هنا وهناك.

وكل ذلك مرجعه انحسار دور الدين وإبعاده عن الشأن الاجتماعي والاستعاضة عنه بالعقل والهوى والعادات والتقاليد السيئة. ولو كان للدين دور حيوي ، وبخاصة الدين الإسلامي لما عاشت البشرية هذه المآسي بهذا الشكل المفزع المدمر. حيث تحريم الزنا والخمور والمخدرات وتقديس وصيانة الأسرة وحماية الحقوق الزوجية ، وبخاصة حقوق المرأة ، والأوامر والإجراءات الكفيلة بنشر التعليم وتوفير العلاج والخدمات الصحية ، وتوفير الأمن للجميع على أعراضهم وأموالهم وأنفسهم ، والحض على التكافل الاجتماعي وتسخير آليات فعالة لإنجازه ، وتقديس الكرامة والحرية المنضبطة والنفوس وكل ما يحافظ للإنسان على مقوماته من نفس ودين وعرض ومال. إن الإسلام يمتلك من الأنظمة الاجتماعية ذات الآليات الفاعلة ما لو طبقت في حياة البشرية لوقتهم من العديد والعديد من تلك الموبقات الاجتماعية ولجعلت منها مجرد وقائع فردية جزئية استثنائية بدلاً من كونها ظواهر منتشرة متوطنة في كل ربوع العالم ، لا يخلو منها مجتمع متقدم ولا مجتمع متخلف.

٣ــ على المستوى السياسي نجد القلة من بلدان العالم من تتمتع بالنظم الديمقراطية التي تحفظ لشعوبها قدراً طيباً نسبياً من حقوقها السياسية حيال حكامها ، وتحول بين الحكام والديكتاتورية والاستبداد والفساد والتلاعب بموارد وأموال البلاد وتبديدها هنا وهناك ، دونما رقيب أو حسيب. بينما الغالبية من بلدان العالم هي بعيدة كل البعد عن تلك

الأنظمة. وبدلاً منها تسود الدكتاتورية الطاغية ويستشرى الفساد في كل أجهزة الدولة ، إن كانت هناك أجهزة ، ويستأثر الحكام وأشياعهم وأذنابهم بكل خيرات البلاد. وعلى المستوى الدولي نجد العلاقات السياسية بين الدول لا يحكمها عدل ، ولا يضبطها قانون منصف ، بل هي علاقة الأقوياء بالضعفاء وعلاقة البقاء للأقوى ، وعلاقة النهب المنظم لمقومات الشعوب والعدوان الصارخ عليها ، بدءاً من الحرية والكرامة والمساواة وانتهاء بنهب الثروات المادية والبشرية. وتحول العالم بالفعل إلى ما يشبه السادة والعبيد ، والتابع والمتبوع. والآمر والمطيع. ونجم عن ذلك ما نعايشه من صراعات دولية وإقليمية وحروب مشتعلة هنا وهناك وشيوع للتخلف بما يحمله من مآسي، وشيوع نعرة وثقافة الإقصاء والصراع والإفناء. فأين هذا من هدى الإسلام في نظرته للناس جميعاً على أنهم أخوة من أب واحد وأم واحدة ، وأن الله سبحانه جعلهم شعوباً وقبائل ليتعارفوا ويتكاتفوا على الخير ، ويتراحموا ويشيع السلام بينهم قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء:١] ، ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾[الحجرات:١٣] ، ﴿وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ﴾ [الرحمن:١٠] ، ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ [البقرة:٢٩] ، والهداية هنا تنطق بسيادة علاقة الأخوة والألفة والسلام والمودة والتعاون والتكافل بين جميع دول العالم.

٤ــ على المستوى البيئي نجد البيئة بكل مفرداتها وأنواعها لم تنج هي الأخرى من العدوان البشري عليها ، إن بالإفناء والتدمير ، أو بالتلوث وسلب ما بها من خصائص النفع. ونظرة على الغابات وعلى المياه وعلى الهواء وما حدث لها من نزف وتدمير وتلوث تكشف لنا عن بعض صور المآسي البيئية ، ومن جهل الإنسان وفقدانه لعقلانية عدم إدراكه أن

عدوانه على البيئة بهذا الشكل هو في الأول والأخير عدوان على نفسه ، حيث لا حياة له دون بيئة بنوعية جيدة. وهل يعيش الإنسان دون ماء أو هواء أو دون موارد طبيعية يحيلها إلى منتجات تشبع له احتياجاته؟! إن الإنسان باعتدائه على البيئة أفقر نفسه بنفسه وأدخل نفسه في بحر من الأمراض الفتاكة. وأرتد كيده في نحره.

ولو اهتدى الإنسان بهدى الإسلام في تعامله من البيئة بكل صنوفها الحيوية وغير الحيوية ، المادية والمعنوية ، الذي يأمره بصيانتها وتقديرها ، ويضع من الآليات والتشريعات ما يحول بينه وبين العدوان عليها. والذي بلغ حرصه بالبيئة أن أدخل الإنسان النار بعدوانه على قطة وعلى عصفور ، وأدخله الجنة بعطفه ورعايته لكلب ، وجعل للطريق حقوقاً وجعل للحيوانات حقوقاً لم تصل إليها البشرية حتى اليوم. ولو اهتدت البشرية بذلك لحافظت على بيئتها وجعلت منها مورداً لسعادتها وصلاح أحوالها وتوفير كل متطلباتها.

وبعد: هذا غيض من فيض من ويلات تحيق بالبشرية اليوم. ولا مخلص لها من كل ذلك إلا الإسلام وهديه في كل مناحي الحياة.

أرأيت أخي الكريم إلى أي مدي كان الإسلام رحمة من الله سبحانه بالعالمين من أناس وحيوانات وطيور وجمادات ! أرأيت كيف تجلت بكل وضوح مصداقية قوله تعالى ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾[الأنبياء:١٠٧].

وقوله صلى الله عليه وسلم: «إنما أنا رحمة مهداة» وأرأيت إلى أي مدى كانت ومازالت وستظل إلى قيام الساعة حاجة البشرية ماسة إلى الإسلام الذي يُصوِّب ويصحح لها عقائدها وقيمها وأخلاقياتها وأنظمتها ، ومن ثم يحافظ لها على مقومات حياتها الطيبة. وأرأيت ، من ناحية أخرى ، كم للرسول محمد عليه الصلاة والسلام من حقوق في أعناق البشرية بكل عقائدها وأجناسها ، وأرأيت إلى أى مدى فرطت البشرية كلها في واجباتها إزاء هذه الحقوق ، بل وكيف أضاعت واعتدت على الكثير منها!

وتلك مسألة نعرض لها بإيجاز في الفقرة التالية من البحث.

# ٢. حق الاسلام وحق رسوله محمد صلى الله عليه وسلم على البشرية

إذا كان الإسلام كفيلاً بإصلاح حال البشرية على كل الأصعدة وبإبعاد كل عوامل القلق النفسي والصراع الاقتصادي والسياسي والتفكك الاجتماعي فإن المنطق العقلي الذي ألهته البشرية في عصرنا هذا يقتضي، بل يحتم ، إن لم يكن الاستفادة مما به من هدايات في هذه المجالات الحياتية وغيرها فعلى الأقل احترامه وعدم الإساءة إليه.

إن العقل يُجوِّز الإساءة إلى المسيء ويقبح الإساءة إلى المحسن ، بهذه تنطق الفطرة البشرية ﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ﴾ [الرحمن: ٦٠].

إنني لأتساءل: دلوني على إساءة واحدة أساءها الإسلام إلى أي فرد من بني الإنسان ، ممن لم يؤمن به قبل من آمن به.

إذا كان هذا هو شأن الإسلام وكل ما فيه هداية قيمة ومثلى للبشرية في حياتهم الدنيا قبل حياتهم الأخرى ، وكل ما فيه رحمة بها في صلاح دنياها والسعادة في أخراها بالمقام الحسن ، فينصرف ذلك حرفياً إلى رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم ، فهو رسول الإسلام وحامله إلى الناس كافة. وحامل الرحمة رحيم ، وحامل الهداية هادٍ ، وحامل النور منيرً. بهذا نطق القرآن الكريم.

وإذا كان العقل السليم والفطرة السوية توجبان توقير الأب وإجلاله وتقديره ، لأنه سبب وجود الإبن وحياته فإن الرسول صلى الله عليه وسلم له من الحقوق على الإنسان ؛ المسلم أولاً وغير المسلم ثانياً ما هو أجل شأناً وأعظم قدراً لأنه قدم للإنسان ما به يحيى حياة طيبة في الدنيا أولاً وفي الآخر ثانياً. وقبل أن نفصل القول في ذلك نقدم بآيتين قرآنيتين كريمتين تحيطان بأطراف الموضوع. قال تعالى: ﴿وَاكْتُبْ لَنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ قَالَ عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ

شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ (١٥٦) الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الأعراف:١٥٦، ١٥٧].

أريد من يهودي العالم ومسيحيه أولاً[١] ، وبقية غير المؤمنين بالإسلام ثانياً أن يتجردوا من كل هوى ويقرأوا هاتين الآيتين مرة ثم مرة ، ويتدبروا جيداً فيما قدمه الرسول محمد صلى الله عليه وسلم لهم من خدمات جليلة وما أزال عنهم من قيود ومشاق وأغلال ، وفوق ذلك فلم يحرم عليهم أي شيء طيب لدى العقول السليمة والفطر السوية ، وحال بينهم وبين ما يستخبثه ويمقته العقل والفطرة من الخبائث. وبعد ذلك يسألوا أنفسهم: أمن فعل معهم وبهم ذلك يستحق التقدير والإحسان والتوقير والإجلال أم يستحق الإساءة والأذى؟. إن من أخص خصائص الرجولة أنه إذا عرض عليك شخص أمراً مفيداً نافعاً إما أن تقبله وإما أن ترده ردا جميلاً ، أما أن تسيء إليه لمجرد فعله ذلك معك فهذا أبعد ما يكون عن شيم الرجولة.

موقف البشرية اليوم من الإسلام ومن رسوله:-

الإنسان بين اثنتين ؛ إما مؤمن بالإسلام مصدق برسوله ، وإما غير ذلك. وغير المؤمن من البشرية بالإسلام منهم من يستفيد من الشرائع الإسلامية في بعض مجالات الحياة لإدراكه أنها تحقق له مصالحه الدنيوية ، ومنهم من اكتفى بما لديه من علم دله عليه عقله وفكره ، وأعرض عن تلك الشرائع إعراضاً حسناً دونما ذم لها أو إساءة إليها. وهذا وشأنه لا سلطان

١) وإنما قلنا أولاً لأن الأذى والإساءة لا تأتينا إلا من اليهود والمسيحيين في الغالب الأعم ، ولأنهم أصحاب التوراة والإنجيل وهم أدرى بما كان فيهما من أغلال عليهم ، وكيف أن الرسول محمد بدينه الإسلامي ، الذي يسيئون إليه اليوم هو الذي وضع عنهم الإصر والأغلال التي كانت عليهم!!

لنا عليه ولا عتاب ، ومنهم من أخذ يكيل للإسلام ولرسوله من صنوف الأذى الفعلي والقولي ليل نهار ما لا يرتضيه عقل ولا تسمح به أخلاق.

وإذا لم يكن للمسلمين كلام مع الصنفين الأولين من غير المسلمين فلا شك أن لهم كلاماً مع الصنف الثالث ، بل عليهم مسئولية كبرى حيال دفع أذاه وإساءته التي لا مبرر لها لا من منطق ولا قانون ولا أخلاق.

والواجب عندئذ ليس هو إساءة بإساءة ، ولا هو سب بسب ، ولا هو وعيد أجوف ، ولا هو صوت مرتفع زاعق ، فكل ذلك غير مجدى ، ومن ثم غير مقبول إسلامياً. والاقتصار عليه هو بالضبط يعني عدم تحملنا للمسئولية وعدم قيامنا بما يوجبه علينا إسلامنا ، ويرشدنا إليه نبينا ، ويبرئ ذمتنا أمام ربنا.

وإذن فعلينا بالتعامل الفعال مع مثل هذه البذاءات ، وقد يكون هذا التعامل في بعض الحالات بالإعراض ، من باب ﴿وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ [الأعراف:١٩٩] ، وأحياناً يكون الإعراض والتجاهل أبلغ في وقف الإيذاء من أي فعل أو قول.

وإذا كان هذا هو الموقف الأمثل في بعض الحالات فليس هو كذلك في حالات أخرى كثيرة. لأن الايذاءات متنوعة والإساءات متفاوتة في آثارها. وهنا لابد من المواجهة الإيجابية الفعلية. وأعتقد جازماً أننا لو أحسنا استخدام المواجهة فإن مفعولها سيكون من القوة بمكان ، لأننا نمتلك العديد من وسائل الردع الفاعلة ، ولأن هذه الإساءات ليست لها أرضية صلبة تقف عليها وتستند إليها. وإنما هي الضغائن والأحقاد والجهل. وإلا فما هي الإساءة الواحدة التي أساءها الإسلام ورسوله إلى هؤلاء؟ ولم نؤد للإسلام ما يجب علينا حياله.

وأعتقد أننا معشر المسلمين لم نحسن المواجهة مع هذه المواقف المسفة بالقدر الكافي. ومن ثم لم نوف الرسول حقه علينا.

إن من يسيء إلى الإسلام وإلى رسوله الكريم صلى الله عليه وسلم إما جاهل وإما حاقد حاسد ، ولا ثالث لهما . وكل منهما له مواجهته المناسبة.

فالجاهل ، علينا تجاهه أن نزيل جهله ، وذلك بتعليمه الإسلام على أصوله وحقيقته كما أنزله الله على رسوله دونما تشدد وتطرف وتهاون وتفريط.

علينا أن نعرفه الإسلام في خير سماته وصفاته وهي الوسطية دون غلو أو تفريط . وعلينا حياله أن تستخدم كل ما هو متاح وفعَّال من آليات وأساليب في تعريفه بذلك. إن المسلم الذي يحبه الله ورسوله ليس هو من نفذ ما أمر الله به من طاعته في خاصه نفسه ، وإنما هو من امتثل ، وبذل كل جهده حيال امتثال غيره . واقرأ في ذلك قوله تعالى ﴿ولا تحاضون على طعام المسكين﴾ ، وقوله جل شأنه ﴿أرأيت الذي يكذب بالدين ذلك الذي يدع اليتيم ولا يحض على طعام المسكين﴾ ، إن هناك في ديننا المسلمين اليوم فريضة إسلامية لا أقول غائبة وإنما أقول لم نؤدها حق أدائها ، إنها فريضة تبليغ الدعوة للغير بأحسن وسيلة. قال تعالى: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾ [يوسف: ١٠٨] ، ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ [النحل: ١٢٥].

وعلينا في سبيل ذلك تسخير كل مواردنا وإمكاناتنا المادية والعلمية لتحقيق هذا المطلب الشرعي المحتم. وعلينا أن نستفيد في ذلك بكل منتجات التكنولوجيا في نشر المعلومات من مؤلفات ومقالات وصحف وفضائيات وإلكترونيات. وأعتقد أننا رغم كل الجهود المبذولة فإننا لم نوظف هذه الإمكانات التوظيف الأمثل. هل بصرَّنا كل شعوب الأرض بميزات الإسلام وحاجة البشرية إليه ، إن لم تكن من باب العقيدة فلتكن من باب تشريعاته الاقتصادية والاجتماعية والسياسية. إن الإسلام ، كما سبقت الإشارة، فيه صلاح الدنيا لمن أراد صلاحها وفيه صلاح الآخرة لمن أراد صلاحها. ومن أراد الصلاح الكامل فله ، ومن أراد الصلاح

الجزئي فله. إن الكثير والكثير مما في الإسلام حيال الدنيا قد استفاد به غير المؤمنين بالإسلام ديناً وعقيدة . في العصور الماضية . إن المسلمين كدول وهيئات مقصرة كل التقصير حيال فريضة الدعوة والتبليغ ، وبسبب من ذلك أقول – وأستغفر الله – إنها أحرى بالعذاب في الآخرة بين الكثير والكثير من غير المسلمين ، وتدبروا أيتها الحكومات والهيئات قوله تعالى ﴿وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا﴾.

ويوم يعرف الناس غير المسلمين ، بل والكثير من المسلمين «التقليدين» كلمة الإسلام الصحيحة في شئون السياسة والاقتصاد والاجتماع والفكر والثقافة لن تجد من يسيء إليه إلا من غلبت عليه شقوته. وفي الأول والأخير علينا أن نبلغ وليس علينا أن نطاع. وعلينا أن نكشف حقد الحاقدين وأن نزيف مقولاتهم ونعرى سوءاتهم أمام شعوبهم وندحض بالحجة والبرهان تفاهاتهم.

وهناك سبيل آخر أعتقد أنه لم يطرق من قبل المسلمين في هذا الصدد إن المسلم مطالب بأن يقي دينه وعرضه ونفسه بما لديه من أموال. والكثير من المسلمين اليوم من حكام وأفراد حباهم الله بالمزيد من الأموال وعليهم وجوباً وقاية أنفسهم ودينهم بما لديهم من هذه الأموال ويبدو أننا نسينا أن الرسول الكريم أحب إلينا من أعراضنا وأموالنا وأنفسنا ، إن كنا مؤمنين.

فهل استخدمنا هذه الآلية الاستخدام الصحيح على المستوى الحكومي والمستوى الشعبي لدفع الاساءة عن ديننا ورسولنا؟ أظن أن الإجابة بلا.

وهناك مسلك آخر بالغ الفعالية في هذا الشأن يتمثل في إسراعنا بالإمساك بزمام القوة بكل صنوفها؛ العسكرية والاقتصادية والعلمية. وبها لا نبقي في موضع الحاجة المذلة إليهم ولا موضع الضعف المخزي حيالهم. وعندها لن نسمع عن كلمة سوء في حق مقدساتنا ولن نرى ما يصيب أعيننا بالقذي. بل سنرى ونسمع كل ما يشيد بنا وبمقدساتنا. وعلينا أن ندرك حق الإدراك أن مقام الرسول أسمى وأعز وأجل من أن ينال منه كيد كائد أو حقد حقود أو جهل

جاهل. لقد عصم الله رسوله من الناس. ومن ثم فإن الرسول صلى الله عليه وسلم لا يستاء من اساءة البعض لشخصه بقدر ما يساء ويستاء من إساءة البعض إلى أمته بانتهاك حرماتها واغتصاب وانتهاب مواردها والعدوان على كرامتها وحريتها والنظر إليها نظرة هوان وإذلال. إن أى متبوع لا يرضى لتابعيه وضعاً كهذا ، ناهيك عن أن يكون المتبوع رسولنا الذي علمنا العزة وسقانا الكرامة والمهابة وأمرنا بأن يكون جانبنا مرهوباً من كلّ تسول له نفسه بالاعتداء.

إن وضعاً من التخلف والضعف والتبعية كهذا الذي عليه العالم الإسلامي لهو أبلغ إساءة منا إلى ديننا الحنيف ورسولنا الكريم. وأقسى تقصير منا في حقوق نبينا عليه الصلاة والسلام.

أمة الإسلام أمة الإجابة إن الأمر جد ليس بالهزل ، فهلا نشمر عن سواعدنا كي يكون لنا مكان ومكانة في عالمنا ، ومن ثم يكون لديننا ولرسولنا قدسيته المصونة عند القاصي والداني. وإلا فسوف نحمل وزرنا ووزر من يسيء إلى إسلامنا ونبينا. وعندها سنعض على أيدينا ، ونندم يوم لا ينفع لندم.

وبعد هذه كلمة قصيرة اضطرنا ضيق الوقت الشديد المتاح إلى المجيئ بها على هذا النحو.

وادعو الله تعالى الذي يبارك في الصغير فيجعله كبيراً أن يبارك فيها ويجعلها في ميزان حسناتنا يوم العرض عليه إنه سميع مجيب.

# مراجع مقترحة


١- العدل الاجتماعي في الإسلام ، د. عماد الدين خليل، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٤٠٢هـ.

٢- الإسلام ومشكلات الحضارة ، سيد قطب ، دار الشروق ، بيروت ، ١٤٠٠هـ.

٣- الإسلام عقيدة وشريعة ، الشيخ محمود شلتوت ، دار القلم ، القاهرة.

٤- حرية الفكر في الإسلام ، عبد المتعال الصعيدي ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ٢٠٠٩م.

٥- المستقبل لهذا الدين ، سيد قطب ، الاتحاد الإسلامي العالمي للمنظمات الطلابية.

٦- قادة الغرب يقولون دمرّوا الإسلام أبيدوا أهله ، دار السلام ، القاهرة: ١٩٧٤م.

٧- الموسوعة الميسرة في التعريف بنبي الرحمة ، المركز العالمي للتعريف بالرسول ونصرته ، ١٤٣١هـ.

٨- هل كان محمد رحيماً ، محمد حسام الدين الخطيب ، المركز العالمي للتعريف بالرسول ونصرته ، ١٤٢٨هـ.

٩- الرحمة في حياة الرسول صلى الله عليه وسلم ، راغب الحنفي السرجاني ، المركز العالمي للتعريف بالرسول ونصرته ، ١٤٣٠هـ.

١٠- تنظيم الإسلام للمجتمع ، الشيخ محمد أبو زهرة ، دار الفكر العربي ، القاهرة: ١٣٨٥هـ.

١١- الإسلام في حل مشاكل المجتمعات الإسلامية المعاصرة ، دكتور/ محمد البهي ، مكتبة وهبة ، القاهرة: ١٣٩٨هـ.

١٢- من توجيهات الإسلام ، الشيخ محمود شلتوت ، دار القلم ، القاهرة: ١٩٦٤م.

١٣- ماذا خسر المسلمون بانحطاط المسلمين ، أبو الحسن الندوي ، الاتحاد الإسلامي العالمي للمنظمات الطلابية.

١٤- مبادئ الإسلام ، أبو الأعلى المودودي ، الاتحاد العالمي الإسلامي للمنظمات الطلابية.

١٥- في رحاب ثورات الربيع العربي – كلمة عن السياسة والاقتصاد في الإسلام ، دكتور/ شوقي دنيا، القاهرة: ٢٠١٢م.
١٦- الإسلام بين الشرق والغرب ، على عزت بيجوفيتش، مؤسسة بافاريا ، مؤسسة العلم الحديث ، بيروت: ١٤١٤هـ.
١٧- من قضايا الإسلام والإعلام في الغرب ، دكتور/ عبد الكريم بوفرة ، وزارة الأوقاف ، الكويت: ٢٠٠٨م.
١٨- ملامح تطبيقية في منهج الإسلام الحضاري ، دكتور/ محمد كمال حسن ، وزارة الأوقاف، الكويت: ٢٠٠٨م.
١٩- الإسلام والحضارة الغربية ، دكتور/ محمد حسين، مؤسسة الرسالة ، بيروت: ١٩٨١م.
٢٠- أصول النظام الاجتماعي في الإسلام ، الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور ، الشركة التونسية للتوزيع، ١٩٧٦م.
٢١- الإنسان ذلك المجهول ، ألكسيس كاريل ، تعريب شفيق أسعد ، مكتبة المعارف ، بيروت.
٢٢- إنسانية الإنسان ، رينيه دوبو ، تعريب دكتور/ صبحي الطويل ، مؤسسة الرسالة ، ١٤٠٤هـ.
٢٣- الإسلام وحماية البيئة ، دكتور/ شوقي دنيا ، مجلة البحوث الفقهية المعاصرة ، الرياض ، العدد الثامن والأربعين ، ٢٠٠٠/ ٢٠٠١م.
٢٤- مجلة الاقتصاد الإسلامي ، بنك دبي الإسلامي ، العددان ٣٣١ ــ ٣٣٢.
٢٥- الازدراء الغربي للإسلام ومقدساته، دكتور/ محمد عمارة ، صحيفة الأهرام ، ٢٠١٣/٤/١١م.
٢٦- الإقتصاد الإسلامي – أصول ومبادئ ، د. شوقي دنيا ، دار الفكر الجامعي ٢٠ ، الإسكندرية.
٢٧- الإسلام والتحدي الإقتصادي ، د. محمد عمر شابرا ، المعهد العالمي للفكر الإسلامي ، ١٩٩٦م.